خطبة صلاة الجمعة 17/ 9/ 2021 للشَّيخ الطَّبيب محمَّد خير الشَّعَّال, في جامع أنس بن مالك، دمشق – المالكي

(كيف نرفع مستوى الوعي؟)

الحمد لله، الحمد لله ثمَّ الحمد لله، الحمد لله نحمده ونستعين به ونستهديه ونسترشده، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيِّئات أعمالنا، من يهدِهِ الله فهو المهتَدِ، ومن يضلل فلن تجد له ولياً مُرْشِداً، وأشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ سيِّدنا محمَّداً عبده ورسوله، وصفيُّه وخليله، خيرُ نبيٍّ اجتباه، وهدىً ورحمةً للعالمين أرسله، أرسله بالهدى ودين الحق ليُظهره على الدِّين كلِّه ولو كَرِه الكافرون، ولو كَرِهَ المشركون، ولو كَرِهَ مَن كَرِه، اللَّهم صلِّ على سيِّدنا محمَّدٍ وعلى آله وصحبه وسلِّم.

أمَّا بعد: فيا عباد الله، أوصيكم ونفسيَ بتقوى الله تعالى، وأحثُّكم وإيَّاي على طاعته، وأستفتح بالذي هو خير.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَى الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ﴾ [الحاقة: 11، 12].

الوعي في اللغة يدل على فهم الشيء وحفظه وفقهه والإحاطة به.

والأذن الواعية هي أذن سَمِعَتْ وَعَقَلَتْ مَا سَمِعَتْ، أو هي أُذُنٌ تحفظُ ما سمعَتْ، وتفكر فيه وتعمل بموجِبِه.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**نَضَّرَ اللَّهُ امْرَأً سَمِعَ مَقَالَتِي فَوَعَاهَا؛ ثم بلغها، فَرُبَّ مُبَلَّغٍ أَوْعَى مِنْ سَامِعٍ**» [أخرجه الترمذي والطبراني واللفظ له وغيرهما].

هذه هي الخطبة الثلاثون الخاتمة في سلسلة (**توعية**)، مرت السلسلة على موضوعات متنوعة في الأسرة والسوق التجاري والمجتمع، فتكلمت عن توقير الكبير، واحترام الاختصاص، وتحسين اللفظ، وحفظ الهوية، وتكلمت عن أثر الدين والقيم في حياة الأمم، وعن اختيار أخف الضررين، وتحدثت عن فضل حسن الخلق بين الزوجين، وفضل حسن الخلق في معاملاتنا المالية، وتكلمت عن التراحم والرفق والعدل والسخاء والمروءة، وغيرها من العناوين.

وكانت السلسلة في كل ذلك تعرض صوراً وأحداثاً من علاقاتنا الأسرية ومعاملاتنا المالية؛ صحيحةً مرة لنُعَمِّم خيرها وننشر فضلها، وخاطئةً أو مخطئةً مرة لنَحْذَر شرها ونترك فعلَها؛ وفي كلتا الحالتين نفيد وعياً وفهماً.

يحب الإسلام أن يتحلى أبناؤه بالعلم، ويتزينوا بالفهم، ويتجملوا بالحكمة، ويتمسكوا بالتعقل والتدبر والوعي.

وعلى الطرف الآخر يكره الإسلام مخالطة الجاهلين، وصحبة السفهاء والمغفلين.

عنوان خطبة الختام: **كيف نرفع مستوى الوعي**

هي خمسة تساعدك على رفع مستوى الوعي عندك وعند من تتعامل معهم: القراءة والتفكير وملازمة أهل الوعي والتجربة والدعاء.

أولاً: القراءة:

إن القراءة من أهم الطرق إفادةً لرفع مستوى الوعي وزيادة مادة العقل؛ لأنها تشتمل على التعرف إلى العلوم بمختلف الصنائع، والمجتمعات بمختلف الطبائع، ولذلك كانت أول كلمةٍ نزلت في الهدي الحكيم: ﴿اقرأ﴾ [اقرأ:1] والمراد تلك القراءة الواعية التي فيها انتباه، وتفكير، وتدوين ملاحظات، ومقارنة مع الواقع، ومن ثَمَّ العمل.

إنّ القراءة توسع مساحة الرؤية، فيرى المرء من خلالها ما كان في الماضي وما هو موجود في الحاضر ولا تراه عيناه واحتمال ما سيكون في المستقبل، فيمتلك من خلالها الوعي الذي يعصمه من أن يلدغَ من جحر لدغ منه غيره، ويدفعه لتطوير ما بدأه الآخرون من دون أن يكرر ما فعلوه.

وفي قراءة سير أهل العقول إنارةٌ للعقول، وسماع أخبارهم وقراءة كلامهم يقوم مقام رؤيتهم، كان المأمون يقول: (لا نزهة أطيب من النظر في عقول الرجال).

ومعلوم لديكم أنّ الكتب كثيره والخوض فيها من دون دليل إضاعة للجهد والمال، فسل في كل اختصاص كبراءه عن أفضل ما تقرأ فيه، واقرأ في اختصاصك الكثير، واقرأ في المعارف العامة في غير اختصاصك ما يجعلك واعياً لشأن أمتك والعالم.

ولتكن قراءتك ناقدة تزن الأفكار وتثمن الكتب التي تقرؤها، ويُنْصَح بعد ساعة من القراءة أن تعطي عقلك ثلث ساعة للتفكير فيما قرأت ليهضم العقل الأفكار ويزنها ويضع كلاً منها في مكانها المناسب.

ومعلوم لديكم أنّ قراءة الكتب الالكترونية ومتابعة البرامج العلمية والأفلام الوثائقية والمواقع التخصصية غدت اليوم نوعاً من أنواع القراءة.

فأول ما يرفع مستوى الوعي القراءة.

ثانياً: التفكير:

يمكننا تعريف التفكير بأنه مجموعة الأساليب التي يتبعها العقل لمعرفة ما يجهل من خلال ما يعلم، أو هو مجموعة الأساليب التي يتبعها العقل لحل المشكلات وتفسير الظواهر.

والتفكير عمل متعب وهو ضرورة حيوية للإنسان ولهذا جاءت آيات الكتاب العزيز حافلة بالحث على النظر في ملكوت السماوات والأرض، والسير في الأرض والنظر في عواقب الأمم، والتعقل لسنن الله في أرضه وعباده، وتدبر عواقب الأمور وخواتيمها.

هذا النظر وهذا التعقل وهذا التدبر هو التفكير، إنه مجموعة الأساليب التي يتبعها العقل لمعرفة ما يجهل من خلال ما يعلم.

ومن هذه الآيات نقرأ: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ، الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ [آل عمران: 190، 191] ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل:44] ﴿فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الأعراف:176].

وهكذا تكثر آيات التفكر والتدبر والتعقل في القرآن الكريم لتحث الإنسان على التفكير ليزداد وعيه ويرتفع مستوى معرفته.

رأى الحسن والحسين شيخاً كبيراً يتوضأ فلا يُحسن الوضوء فاتفقا على إرشاده، ولكنهما تفكّرا في أنهما إنْ أعلماه أنه لا يحسن الوضوء وهو الكبير وأنهما سيعلمانه وهما الأقل عمراً فربما منعته نفسه من قبول النصح وربما وجد عليهما، فقررا أن يتحاكما إليه في أيهما يُحْسِنُ الوضوء، وتوضأ كلٌّ منهما أمامه وضوءا كوضوء رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلما وجد الرجل كُلاً منهما يُجيدُ الوضوءَ عَلِمَ أنَّه هو الذي لا يُحسنه، فشكر لهما حسن إرشادهما وأعادَ الوضوء بطريقة صحيحة.

إنه التفكير وأثره في رفع مستوى الوعي في التعامل مع الأشخاص والأحداث.

وفي السيرة النبوية أشار عمر بن الخطاب رضي الله عنه على النبي صلى الله عليه وسلم بقتل عبد الله بن أُبيّ ابن سلول زعيم المنافقين حين مشى بالفتنة بين المسلمين، فأبى النبي صلى الله عليه وسلم وترك عبد الله يمضي في شططه حتى أنكره قومه وعنفوه وجعلوا إذا أحدث زعيمهم أمراً يعاتبونه ويأخذونه ويعنفونه، وتصدى له من صلبه من يريد له الموت، فقال النبي صلى الله عليه وسلم لعمر حين بلغه ذلك من شأنهم: «كيف ترى يا عمر؟ أما والله لو قتلتُه يومَ قلتَ لي اقتله، لأُرعدتْ له أنفٌ لو أمرتُها اليوم بقتله لقتلته» قال عمر: "قد والله علمت لأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أعظم بركةً من أمري".

إنها النبوة، وإنه التفكير وأثره في تحسين مستوى الوعي بعواقب الأمور ونتائجها.

ثالثاً: ملازمة أهل الوعي:

فإن في ملازمتهم انتفاعاً من وعيهم وتجاربهم وعلمهم، (والتاريخ خير مرشد وخير دليل يريك أن كل حكيم عاقل كان وراءه مربٍّ حكيم يدفعه ويقوي عزائمه، وينهض بهمته، وكان هذا المسترشد في التزام المربي كالتزام الظل للشخص).

(وإن في رؤية الحكيم ومخالطتِه الأخذ بسنة النبي صلى الله عليه وسلم والتأدب بأدبه، وفيها السلامة من معرّة الجُهال ومضرة الضُلّال، واكتساب الآداب والفوائد وحيازة المصالح والمراشد، والأمن من العواقب والتنزه عن المعايب).

قال المنصور للمهدي: (يا أبا عبد الله لا تجلس مجلساً إلا ومعك فيه رجلٌ من أهل العلم يحدثك).

وكتب عمر بن عبد العزيز إلى بعض عماله: (أحي عقلك بعلم العلماء والأشراف من أهل التجارب والمروءات).

ثم إنّ كل علم من العلوم بحاجة إلى مُدَرِّبٍ ماهر خبير، ورفع مستوى الوعي من آكد الأمور حاجة لهذا المدرب، ففي معاشرة أهل الوعي والتدرب عليهم عمارة للقلوب والعقول.

يطيبُ العيشُ أن تلقى حكيماً ... غِذاهُ العلمُ والنظرُ المصيبُ

فيكشفُ عنكَ حيرةَ كلِّ جهلٍ ... وفضلُ العلمِ يعرفهُ الأريبُ

واعلم أنّ قطيعة الجاهل تعدل صلة العاقل، وهجر السفيه يساوي وصال الفقيه، فالصاحب يُعدي والأحمق يُردي، وقد قال الحسن البصري: (صلة العاقل إقامة لدين الله، وهجران الأحمق قربة إلى الله).

فثالث ما يرفع مستوى الوعي مجالسة أهل الوعي ومحادثتهم وهجر أضدادهم.

رابعاً: كثرة التجارب:

فالوعي محتاج إلى العقل، والعقل محتاجٌ إلى التجربة، ولا حكيم إلا ذو تجربة، والرجل الذي صقلته الحياة ومَرَّسته التجربة هو الرجل الواعي الحكيم.

وإنّ التجارب كلها، صوابها وخطأها تفيد عقلاً إن جرت على يدِ عاقل يريد الفائدة؛ لأن الخطأ من أكبر معلمي الإنسانية، وكم من رجلٍ تعلم من أخطائه وأخطاء غيره.

فإذا أردت رفع مستوى الوعي فادخل ساحَ الحياة من باب التجربة..

لكن حذارِ تجربة كلِّ شيء فمن جَرّب المجرَّب فعقله مُخَرَّب، ولكن جَرِّب ما لم يستطع غيرك تجربته ولم تعرف بالنظر إليه فائدته، واستفد من كل مَنْ سبقك في هذا المضمار، ودَوِّن ملاحظاتك ونتائجك لتأخذ من تجربتك ثمرتها المرجوة، واعلم أنَّ مَنْ حَنَّكَتْهُ التجارب وهذّبته المذاهب فهو الحكيم.

ألم ترَ أنَّ العقلَ زينٌ لأهلِهِ ولكنَّ تمامَ العقلِ طُولُ التجاربِ

خامسا: الدعاء:

لأن الله تعالى قال ﴿فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ﴾ [الأنبياء:79] فالفهم والوعي وإلهام الصواب من الله، ودعا رسول الله صلى الله عليه وسلم لسيدنا عبد الله بن عباس فقال: «**اللهم فقهه في الدين وعلّمه التأويل**» [البخاري].

فنسأل الله الفهم والعلم وأن يفقهنا في ديننا ودنيانا.

وبعد أيها الإخوة:

هذه خمسة بها نرفع مستوى الوعي عندنا وعند من حولنا: القراءة والتفكير وملازمة أهل الوعي والتجربة والدعاء، وبها تختم هذه السلسلة توعية، والله المرجو أن يجعلها في حرز القبول عنده وأن ينفع بها كاتبها وسامعها وقاريها.

والحمد لله رب العالمين